تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنامج

في رحاب القرآن –79

مقدمة البرنامج .....

مؤثرات .....

الراوي (1) : تربية المسلم من خلال الأحداث والوقائع واحدة من المحاولات الناجمة عن النظرة الشمولية في القرآن .. ذلك أن الإيمان لا يقوى بالتأمل وحسب .. والإيمان لا يشتد مكسره بالإستماع إلى المواعظ فقط .. ولكنه يرتفع إلى مستويات عالية من النقاء والصفاء ويغوص فى أعماق النفس البشرية بفضل التجارب اليومية التي يواجه فيها المسلم جملة من التحديات ..

الراوي (2) : والتحديات التي تواجه الإيمان عند المسلم شديدة الاختلاف كثيرة التنوع .. فهي تارة تقتضي الإنضباط في النفس كما كان شأن المسلمين في العهد المكي .. وهي تارة أخرى تقتضي الجرأة في المواقف والقدرة على مواجهة الأخطار الخارجية كما كان شأن المسلمين في العهد المدني ..

الراوي (1) : ويتفرع عن التحديات الأولى أن يخلو المسلم إلى نفسه وأن يروضها على العبادة المتأنية الطويلة .. كما يتفرع عن التجديات الثانية أن ينصرف المسلم إلى إعداد العدة للقتال . وإلى التمرن على أساليب الكر والفر ..

الراوي (2) : إن المهم في التربية الإسلامية هو أن يتعود المسلم الطاعة لأوامر الله والعمل بها ابتغاء وجه الله بحيث يصبح ظاهرة تتجسم فيها أخلاق القرآن .. ولا سبيل إلى ذلك إلا بالبلاء الدائم والامتحان المستمر في أحداث ووقائع متعاقبة ..

الراوي (1) : والحق أن الرؤية التربوية في القرآن من خلال الأحداث والوقائع لن تتضح معالمها ولا تتحدد أبعادها إلا بتتبع النصوص السماوية التي جاءت في كتاب الله تبصره وذكرى للعالمين ..

نقلة موسيقيـــــة ...

محمد : نعم أيها الأبناء .. إن في القرآن نصوصاً تعرفونها جيداً تلقي ضوءاً على الصفات وأنواع السلوك التي يفترض في المسلم أن يلتزم بها وأن يتعلم منها الطريقة التي يشكل بها نفسه بحيث يصبة صورة تقترب كثيراً أو قليلا في رسومها من القرآن العظيم .. فلنبحث عن هذه النصوص في ندوتنا لهذا اليوم ..

صالح : إذا كانت أخلاق العهد المكي كما وصفتها لنا هي أخلاق الصبر والقدرة على احتمال الأذى ورياضة النفس البشرية على الانضباط فإنّ في وسعنا أن نجد من الآيات القرآنية أعداداً كثيرة تتمثل فيها هذه الخصائص والصفات ..

محمد : إذاً تعالوا بنا نصنف أقوال الله في فصائل وفنون من التوجيهات والأوامر ..

سعيد : أول ما يلفت نظرنا هو جملة من آيات الله في سورة المزمل . فيها قوله تبارك وتعالى : " وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا " .. أو قوله " قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا(4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6)"..

جاسم : يبدو لي وأنا أستمع إلى هذه الآيات الكريمة أنني أمام خطة منهجية في ميدان التربية يقصد بها إعداد الإنسان المسلم لمواجهة مسؤوليات مرتقبة في مستقبل الأيام .. إن القصد من دعوة المسلم آنذاك وهو الذي كان يعيش قبل فترة قليلة في صميم عالم متميز بروح الثأر والتظاهر بالقوة والعصبية العمياء والغضب لأتفه الأسباب ، هو التعود على ضبط النفس بحيث تتصرف بحساب وتتحرك بقدر .

محمد : أحسنت يا **جاسم** .. والواقع أن دعوة المسلم إلى السكوت عن أذى قريش وإلى قيام الليل نصفه أو أكثر قليلاً أو أقل قليلاً منه مع ترتيل دائم لكتاب الله تعني تربيته بحيث يقدر على استقبال كل المسؤوليات . ولما كان الكلام موجهاً إلى النبي المصطفى عليه السلام فإنّ أعظم هذه المسؤوليات هو مسؤولية استقبال الوحي " إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا " ..

نقلة موسيقية ....

الراوي (1) : ويمضي الأستاذ **محمد** من بعد قائلاً : أتعرفون كيف تم إعداد النبي عليه السلام والجيل الأول من المسلمين في تلك الفترة من الزمن ؟ عودوا قليلاً إلى ما جاء في السيرة العطرة فستجدون للنبي والمؤمنين معه صورة من العبادة يتميزون معها بقيام الليل والانصراف بكليتهم إلى الله عز وجل .

الراوي (2) : ثم قال : ومضى عام كامل أصبح فيها المستجيبون لدعوة النبي عليه السلام رجالاً غير رجال الجاهلية .. لو اطلعنا عليهم لما عرفناهم في سيماهم الجديدة .. كانوا يصلون دون حساب ويرتلون وحي السماء ما دامت في أجسادهم بقية من قوة حتى أن أقدامهم كما يؤكد الرواة قد تورمت من قيام الليل وعبادة النهار .

الراوي (1) : وهنا يأتي رسول السماء ليقول لخاتم الأنبياء قول الله فيما فعل وأصحابه خلال العام الذي انقضى " إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ .. " ..

الراوي (2) : ويريد الله أن يخفف عن نبيه وعن الطائفة من المؤمنين الذين كانوا معه .. فهو يعلم عز وجل أن بين هؤلاء المرضى وأن بينهم من يضرب في الأرض سعياً إلى الرزق مبتغياً من فضل الله ما يرده على نفسه وعلى عياله.. هذا إلى مشاغل أخرى تشغل غير هاتين الفئتين من الناس . ولذلك فقد طلب إليهم أن يمتنعوا عن جهاد أنفسهم بعد أن حققوا في هذا العام من المنجزات الخلقية ما يدعو إلى رضى الله عز وجل ..

نقلة موسيقية .....

صالح : وهل معنى هذا أن العام الذي قضاه المسلمون في التهجد وقيام الليل قد حقق الغرض منه ؟

محمد : طبعا يا بني .. إن في وسعنا القول بأن هذا العام هو دورة تدريبية قصد بها إعداد النفوس وتشكيلها بحيث تصبح متحررة تحرراً تاماً من كل الانفعالات الشخصية وفوضى التصرفات .

سعيد : الحقيقة أن الأمر عسير جدا ..

جاسم : هو عسير حقاً .. ولكننا حين نذكر أن العناية الإلهية كانت تعد هذا الجيل من المسلمين للقيام بأضخم مهمة عرفتها البشرية في نطاق تغيير النفوس ونشر الدعوة واعداد العالم لنهضة شاملة لا سابقة لها في التاريخ ، حين نذكر هذا كله لا نعود نجد ما يدعو إلى الدهشة والاستغراب ..

صالح : ولعل الله سبحانه وتعالى قد أعفى هذا الجيل الإسلامي من بعض ما كان يجهد به نفسه حين حققت الخطة التربوية السماوية أغراضها ..

محمد : طبعا يا **صالح** .. وهذا هو الغرض من قوله تبارك وتعالى من بعد : " عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ

وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " ..

سعيد : حسن جدا يا أستاذ **محمد** .. ولكن هل نستطيع أن نقول إن الأمر بالصبر على أدى المشركين في مكة واحتمال المكروه هو بسبب من ضعف المسلمين في ذلك الوقت ؟ أو من عجزهم عن مواجهة الكثرة من المشركين ؟

محمد : إذا نظرنا إلى الواقع لوجدنا أن أكثر الذين كانوا ينتصرون في البداية للدعوة الجديدة هم الضعفاء في المجتمع . وأقصد بالضعفاء الذين لم يكونوا يملكون المقدرات المادية وقيادة الناس . لكن العملية التربوية التي خضع لها هذا الجيل الإسلامي الأول لم تكن استعداداً لمقاومة رجال قريش وحسب بل لمقاومة العالم الذي كان قد قدر للمسلمين أن يقاتلوه بعد قليل .. وليس هذا فقط بل لتحقيق أمر هو في رأيي أعظم من هذا كله ..

سعيد : وما هو هذا الشيء العظيم ؟

محمد : إنه اعداد الجيل الأول على مقاومة النفس الأمارة بالسوء ، والتوصل إلى ضبط نزواتها والسيطرة على ردود الفعل الغريزية فيها وهو أعظم ما تقوم به القيادات المصلحة في التاريخ ..

جاسم : لعلك تقصد ما يطلق عليه اليوم إسم المناقبية .. أو تقصد تذكيرنا بما قاله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بعد معركة بدر الكبرى يوم اعتبر جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ..

محمد : هذا هو ما قصدت إليه يا **جاسم** . أما فيما يتعلق بضعف المسلمين في مكة فقد كان في وسعهم أن يتصرفوا على الطريقة الجاهلية فيقعون فيما جاء الإسلام لإنقاذهم منه .. لكن الله سبحانه وتعالى قد أرادهم أن يركبوا المركب الصعب فكانت معركتهم أمام العدوان القرشي في الحقيقة معركة مع أنفسهم هي معركة الانضباط والتخلق بأخلاق القرآن ..

صالح : ألا ترى يا أستاذ **محمد** أن ننتقل بحوارنا إلى العهد المدني حيث نتتبع الخطة التي تمت بها تربية المسلمين من خلال الوقائع والأحداث ؟

محمد : طبعاً يا **صالح** . إلا إذا كان بين زملائك من يرغب في ايضاح أمر من الأمور ..

جاسم : أعتقد أنه لم يعد أمامنا ما يحتاج إلى إيضاح بالنسبة للعهد المكي ..

سعيد : ولعلنا نجد في أحداث العهد المدني ما يساعدنا على إلقاء مزيد من الضوء ..

محمد : نعم ما اقترحتم .. والواقع أن في أحداث العهد المدني ما يقدم إلينا صورة جديدة للتربية الإسلامية .. لقد رأينا المسلمين في هذا العهد يواجهون سلسلة من الأحداث كل واحد منها كان بمثابة الآية والعلامة على خطة تعليمية تربوية ..

صالح : وكيف ذلك يا أستاذ **محمد** ؟

سعيد : هل تسمح لي بالمشاركة في طرح وجهة نظر معينة ؟

محمد : طبعاً يا **سعيد** .. قل ما تشاء .. وأنت يا **جاسم** في وسعك أن تشارك قبل أن نقول الكلمة الأخيرة حول العهد المدني ..

جاسم : افعل إن شاء الله .

سعيد : زميلي **صالح** يسأل كيف كان كل حدث من الأحداث بمثابة الآية والعلامة على وجود خطة تعليمية تربوية .. ويبدو لي أن الجواب عن هذا السؤال يكمن في دراستنا لطبيعة الظروف التي أحاطت باللقاءات العسكرية أو ببعض الأزمات السياسية العسكرية ..

محمد : يبدو أنني أنا شخصياً راغب في توجيه السؤال نفسه إليك ! ..

جاسم : وأنا مثلك وإن كنت أظن أنني قد أدركت ما يجول بخاطر **سعيد** ..

سعيد : المسألة : بسيطة .. تعالوا بنا نطرح أمامنا اللقاءات الرئيسية : إنها لقاءات بدر وأحد والأحزاب والحديبية وفتح مكة ثم حنين في النهاية ..

محمد : أحسنت يا **سعيد** إذا حصرت المواقف الرئيسية في هذه اللقاءات ..

جاسم : ولكن ما معنى تعداد هذه اللقاءات ؟

سعيد : الملاحظ أن كل لقاء قد تميز بظروف خاصة .

صالح : ألا تحدثنا عن الظروف التي أحاطت بموقعة بدر ؟

سعيد : طبعا يا **صالح** .. هذه الموقعة تميزت بنصر كان له دوي عجيب في نفوس المسلمين والعرب عامة وفي أوساط قريش وحلفائهم بصورة خاصة ..

محمد : ألا تزيدنا ايضاحاً يا **سعيد** ؟

سعيد : أمرك يا أستاذ **محمد** .. الملاحظ أن هذا النصر قد كان حصيلة موقفين متناقضين : موقف المشركين الذي كان يتسم بالغرور والاستهتار بالقوة الإسلامية بسبب من الفرق الشاسع بين الفريقين .. قلة عدد المسلمين وضعف تسلحهم .. وكثرة عدد المشركين وقوة تسلحهم . ثم موقف الجانب الإسلامي الذي استند في معركته إلى قوته الخلقية ومن وراء ذلك إلى ثقته بالله عز وجل .. والنتيجة كانت لمصلحة المؤمنين الواثقين بالله والمتواضعين إلى جانب الله ..

صالح : وبعد يا **سعيد** ؟

سعيد : أما بعد فقد لوحظ اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالتشديد على التخلق بالأخلاق القوية وعلى ضبط النفس ومجاهدتها وعدم الاستجابة لنزواتها ..

جاسم : الآن أدركت ما تقصد إليه .. إنك تريد أن تقول لنا بأن معركة بدر كانت امتحانا خطيراً للروح الإسلامي ولظاهرة الانضباط وللكفاءة الخلقية التي ستتعين حجومها في معركة أحد ..

محمد : الحق أنكما كليكما قد وفقتما في عرض الصورة الأولى .. والواقع أن ما حدث في موقعة أحد من فقدان الانضباط عند فريق من المسلمين كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمرهم بالثبات في مكان معين من الجبل هو إعلان عن أهمية هذا الانضباط في لقاءات المسلمين مع أعدائهم .. ولا أخفي عليكم أن الموضوع هو من الاتساع بحيث لا تستوعبه ندوة اليوم .. فلنرجىء متابعة مناقشته إلى ندوتنا القادمة إن شاء الله ..

موسيقى نهاية .....